السياسة الإيطالية وأثـــــرها على الساحة الليبية

أ.علي أحمد خليفة الفرجاني ـ كلية التربية ـ قصر بن غشير
جامعة طرابلس.

المقدمـــــــــــــة :

ليبيا كغيرها من الدّول التي تقع في الشمال الإفريقي ، تعرضت إلى مدٍّ استعماري عمل بكل الطـــرق والوسائل إلى احتلالها واستعمارها ، وعندما انتصر الحلفاء على دول المحور تم طرد إيطاليا من ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية ودخلت بريطانيا ليبيا وقامت بإنشاء مشـــروع استعماري علي غـــرار وعد بلفور عام 1917 م واتفاقية سايكس بيكو ، والذي نتـــــج عنه تقسيم ليبيا إلى ثلاثة ولايات هي فرنسا كان من نصيبها ولاية فـــــزّان ، وبريطانيا كان من نصيبها ولاية برقـــة ، وولاية طرابلس كانت من نصيب إيطاليا والمشاريع الاستعمارية السالفة الذكر كلها تذهب في إطار تقســـــيم المقسم وتجزئة المجزئ ، أي : تفتيته ، وكذلك هذه السياسة أسهمت في نشـــر الفتنة عن طريق تمزيق اللحمة الوطنية وتحويل المجتمع العربي الليبي من مجتمع متجانس قـــــوي اجتماعي الى مجتمع ممزق والغاية والغرض من التقسيم فرض أجندات استعمارية لكي يتم تكريس التبعية والوصايا في المجتمع الليبي فالسياسة تقودها مصالح معينة ، والمؤرخون المعاصرون للأحداث هم أصدق من المؤرخين الناقلين عن مؤرخين آخرين ، فالمشكلة هنا كيف يتم التوفيق بين آراء المؤرخين المعاصرين للأحداث والمؤرخين الناقلين عن مؤرخين آخرين .

مشكلة البحث :

إيطاليا ركزت سياستها على ليبيا باعتبار عدد سكانها قليل وامكانياتها كبيرة من حيث وجود النفط والغاز والموارد الطبيعية إضافة إلى امتلاكها اكبر شاطئ على البحر المتوسط مما يجعلها دولة أساسية ومحورية باعتبارها حلقة وصل بين قارات العالم ، اضف إلى ذلك أن إيطاليا تعاني من مشاكل اقتصادية ومن ضمنها البطالة، فليبيا بالنسبة لإيطاليا تمثل أهمية اقتصادية وأهمية سياسية وأهمية استراتيجية .

الأهمية الاقتصادية : ليبيا الشاطئ الرابع لها حتي تتمكن من توطين الطليان العاطلين عن العمل داخل ليبيا .

الأهمية الاستراتيجية : ليبيا تمثل لإيطاليا مكان تجاري وعبور للسفر أي تجارة عبور.
وأهمية سياسية : تعتبر ليبيا بالنسبة لإيطاليا البلاد التي بواسطتها تتم تعويضها عن خسارتها عندما فقدت مستعمراتها داخل قارة افريقيا.

التساؤلات البحث :

- ماهي الأهمية الاستراتيجية لليبيا داخل إيطاليا؟
- ماهي الأهمية السياسية لليبيا داخل إيطاليا؟
- ما هو الدور الذي تلعبه ليبيا لإيطاليا من الناحية الاقتصادية

أهداف البحث :

معرفة المزيد من الدوافع التي جعلت إيطاليا تحتل ليبيا من الناحية الاستراتيجية والفوائد التي تتحصل عليها إيطاليا من هذه الناحية.
معرفة المزيد من المعلومات عن التأثيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للمجتمع الليبي والناتجة من تواجد إيطاليا داخل ليبيا .

المصطلحات :

- **تعريف كلمة سياسة** : هي حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالطرق السلمية .

السياسة : تحددها المصالح وتصنعها المصالح .
المواقف السياسية : تحددها المصالح وفق حاجه الدول وارتباطها بمصالح الدولة نفسها المتدخل فيها .

إطار البحث :

تمهيد :

في أواخـــر القرن الثامن عشـــر وبداية القرن التاسع عشر ضعفت الدولة العثمانية التي كانت مهيمنة في العالم العربي ، وتعرضت لضعف اقتصادي وسياسي واجتماعي وعســكري ؛ لأنها لم تهتم بتطوير العالم العربي ؛ بل أسهمت في تأخره خمسمائة سنة تقريبا ، وكانت توصف بالرجل المريض، عندها بدأت الدول الاستعمارية في تقسيم هذه تركه المنسوبة للدولة العثمانية فكان التقسيم منذ مؤتمر برلين واتفاقية سايكس بيكو فكان فرنسا نصيبها تونس والجزائر والدول الأفريقية، وبريطانيا منطقة الخليج ومصـــر، فبقيت ليبيا كولاية عثمانية فتم اعطائها إلى إيطاليا وتمكنت إيطاليا من احتلال ليبيا بعد معاهدة أوشي لوزان التي سلمت تركيا بموجبها ليبيا إلى إيطاليا .

العوامل التي دفعت إيطاليا لاحتلال ليبيا :

تبنت إيطاليا سياسة استيطانية مكثفه مرسومة في الأراضي المحتلة من ليبيا نتيجة لعدة عوامل يمكن اجمالها في الآتي:

أولا ـ العامل السياســـي : أخـــذ الاهتمام الإيطالي يتركز حـــول القطعة الوحيدة الباقية في الشمال الأفريقي تحت السيادة الإسلامية وهي ليبيا ، وقت كانت رغبـــة إيطاليا في التوسع والحصول علي مستعمرة خاصة إلا أن إيطاليا لم تستطع أن تحقق ما وراء غزوها لأريتريا والصومال ما كانت تريده وتتطلع اليه من توسع استعماري، كانت تراه ضروريا لمعالجة المشاكل التي تواجهها في الداخل ، وقد كانت إيطاليا ترغب – أيضا- في أن يكون لها مكان علي البحر المتوسط ما يحقــق لها العظمة السياسية التي كانت تحلم بها ، ويجعل منها دولة تقف علي نفس المستوى الذي تقف عليه كثير من الدول الأخرى[1] ، وفي مقدمة الأسباب السياسية ادعاءها أنها تحمل رسالة حضارية، وقد ذكر (أ. ن .روبرتو ميشيل) إذا أرادت إيطاليا أن تلعب دورًا رئيسياً في السياسة الأوروبية فعليها أن تسعى لمقاسمة الدول الأوروبية حقها في افريقيا مهما كلفها الأمر".[2] ،وقد ركزت إيطاليا اهتمامها حول ليبيا لعدة أمور أهمها:

1- احتلال فرنسا لتونس 1881 م ولم يبق من الشمال الأفريقي إلا ليبيا فعملت على احتلالها لقربها من السواحل الليبية .

2- احتلال فرنسا للمغرب عام 1911م .

3- العمل على احتلال ليبيا من أجل حماية الجاليات الأجنبية [3].

4- اعتبرت إيطاليا نفسها وريثة الإمبراطورية الرومانية.

ثانيا ـ العامل الاقتصادي : إن من أهداف إيطاليا التوسيعية إيجاد مكان عمل للإيطاليين ، وشمال افريقيا كان أنسب من شرقها لمجال نشاط الإيطاليين ، لذا عملت إيطاليا علي ضمان مصالحها الحيوية ، ومن جملة ما ذكره (أ.ن روبيرتو ميشيل) أن الاستعمار سيُسهم في حل معضلة السكان في إيطاليا ولذا فإن (روبيرتو ميشيل) يعكس رأي طبقة من المفكرين الإيطاليين الذين كانوا يعتقدون أن التوسّـــع الإيطالي ضرورة اقتصادية وديمغرافية ملحة ، ويؤكد (لوزيجـــي) [4] أن التوسّع الاستعماري خيار لا بد منه لكي تواجه ايطاليا سلبيات البطالة والمجاعة السكانية [5] ، ومما تجدر الإشارة إليه أن إيطاليا تُعدّ من أســـرع الدّول المتزايدة في الكثافة السكانية من خـــلال الحوافز المالية المتعددة التي اتبعتها إيطاليا من أي دولة أخرى ماعدا المانيا النازية

ثالثا ــ العامل الاستراتيجـــي : ساحل أفريقيا الشمالي أقرب السواحل الأفريقية لإيطاليا وهو المجال المناسب لتوسّـــع دولة مثل إيطاليا ، ليمكنها من تمركّــز قواتها البحرية وتكوين إدارة لمستعمراتها في مناطق ذاتية بعيدة عن الأمم الكبرى [6]، وتبحث إيطاليا عن طريق أكثر فاعلية ، وأقل تكلفة من احتلال الأرض الأم ، وسيغير الوضع العسكري والاقتصادي من خلال توطين مئة ألف من الفلاحين الإيطاليين.[7]

تمهيدات استعمارية والتغلغل السلمـــي :

من المعلوم إن إيطاليا بدأت تأخذ مكانها بين الدّول الاستعمارية الكـــبرى ، وبشكّل واضـــح نتيجة لازدياد عدّد سكانها فـي أراضيها الصالحة للزّراعـــة ، وتطـــوّر صناعتها أدّي إلى حاجتها للمواد الأولية [8] ، فاتجهت أطماعها إلـــى تونس فزادت الهجـــرة الإيطالية إليها غير إن فرنسا استطاعت إن تبادر بالسيطرة علي هذه الولاية وحصلت بذلك علي موافقة الدول الكبرى ، وفرضت الحماية الفرنسية على تونس سنة 1882م فكان ذلك صدمة قوية لإيطالية [9] ، ولم يكن أمام إيطاليا سوى توجيـــه أنظارها في الذهاب لاحتلال ليبيا [10]

التمهيد السياسي :

أولا ـ موقف الدول الأوروبيـــة الكبرى من سياســـة إيطاليا اتجاه ليبيا :

قامت الحكومة الإيطالية في الفترة ما بين (1887 -1902 م) بعمل على الصعيد الدبلوماسي بتوقيعها العديد من الاتفاقيات الدولية التي مكنتها فيما بعد من الاستيلاء على ليبيا ، وطبقا لهذه الاتفاقيات أمسكت كلا من انجلترا وفرنسا وروسيا ودولة النمسا والمجر والمانيا وإسبانيا عن القيام بأية مطالبات في طرابلس وبرقة ، وتم وضعها من الناحية العلمية والسياسية تحت تصرف إيطاليا ، وقد عملت إيطاليا على اقناع الدول الأوروبية الكبرى بهذه التنازلات

1- فرنسا : من أكبر طموحاتها احتلال المغرب الأقصى ، لذا أطلقت فرنسا يد إيطاليا في ليبيا بموجب اتفاقية سنة 1902 م [11] ، على أن تطلق إيطاليا يد فرنسا في المغرب الأقصى.

2- بريطانيا : اعترفت بريطانيا لإيطاليا في الشمال الأفريقي ، وذلك علي لسان وزير خارجيتها جراي [12] ، وبناء علي ذلك أعلنت بريطانيا عن تعاطفها مع المسألة الإيطالية اتجاه ليبيا ، وعقدت في 1887/12/12 م اتفاقية بريطانية تعهدت فيها بريطانيا بعدم اهتمامها بليبيا مقابل موافقة إيطاليا علي الاحتلال الانجليزي لمصر [13]

3- روسيا : موقف روسيا كموقف فرنسا وبريطانيا ، فقد عقدت إيطاليا مع روسيا معاهدات أهمها معاهدة 1907 م في راكونجي ، ثم في 26/23 -10-1910 م ، وقد كان هدف روسيا من عقد هذه المعاهدات هو مساعدة إيطاليا لروسيا مقابل مساعدتها في مسألة المضايق التي كانت بينها وبين تركيا.

4- المانيا : المانيا مرتبطة مع كل من تركيا وإيطاليا بعلاقات جيـــدة ، لذا رأت أن يتم الاتفاقات بين الدولتين بالمفاوضات .[14]، وقد حاولت على ضوء علاقاتها مع تركيا بأن أوعزت إلى سلطان تركيا أن يعرض على إيطاليا تسهيلات اقتصادية وتجارية في ليبيا إلا أن ذلك كان بعد فوات الأوان ؛ لأن إيطاليا كانت قد أنزلت قواتها على الشواطئ الليبية في 29 سبتمبر/ 1911 م [15]

5- النمسا والمجر : لم يكن هذا الأمر يهم النمسا ما دام لا يتعدى حدود الشمال الأفريقي ، فقد تتم تحييدها بتقديم تعهدات لها بعدم معارضتها في البلقان ، ولهذا فإنه عند إعادة الحلف الثلاثي سنه 1907 م ، والذي تشكّل بعضوية إيطاليا، والمانيا ، ودولة النمسا والمجر ، تعهدت الأخيرة بتقديم الدعم الدبلوماسي لإيطاليا في صراعها للاستيلاء علي طرابلس وبرقة ، وبعد أن تلقت إيطاليا التعهدات الدبلوماسية بتمكنها من الاستيلاء علي طرابلس وبرقة لم يكن عليها إلا أن تنتظر اللحظة المناسبة لغزو ليبيا.[16]

ومن خلال ما تقدم يمكن الجزم بأن إيطاليا أرادت أن تجعل ليبيا مستعمرة لها على الساحل الأفريقي الشمالي ، وذلك بعد أن فشلت في السيطرة علي تونس ، وبعد أن هزم جيشها في عدوى 25 مارس 1891 م.[17]، لذلك بدأت الحكومة الإيطالية في محاولاتها تجاه ليبيا بالطرق الدبلوماسية لكي لا تتورط في هزيمة أخرى أمام الرأي العام العالمي[18].

وقد كان الليبيون والحكومة العثمانية علي علم بنوايا إيطاليا وعقدوا العزم للدفاع ، ولكن الحكومة العثمانية كانت ضعيفة بسبب الحروب الخاسرة التي خاضتها في البلقان [19] ، وأعطت إيطاليا لقضية ليبيا عناية خاصة بدأت بها منذ نهاية القرن الماضي وسلكت في ذلك مبدأ المساعي السياسية بين الدول الأوروبية لتنفرد بها دون غيرها ، ثم عملت علي التدخل السلمي في شـــؤون ليبيا ، ونجحت في تهيئة الرأي العام الإيطالي ، ولما تهيأت الظروف للتدخل الإيطالي نزلت القوات الإيطالية بحجة حماية المصالح الإيطالية والرعايا الايطاليين في ليبيا، فكان الاحتلال الإيطالي العسكري في سبتمبر عام 1911 م بتأييد من الدول الاستعمارية [20] ، وفي 26 سبتمبر عام 1911م أعلنت

الحكومة الإيطالية في روما إنذارها ضد سكان طرابلس الآمنين ، وطلبت من الحكومة التركية الإسراع بتسليم ليبيا لها في مدة قصيرة أقصاها أربع وعشرون ساعة [21].
ومما شجع الإيطاليين علي توجيه إنذارهم إلى الحكومة التركية ما أظهره الرد التركي الضعيف[22] ،

وفي اليوم الثاني أعلنت عليها الحرب فأخذ هذا الإعلان مفاجئة كبيرة بين الدول الأوروبية بشكل عام وفي تركيا بشكل خاص واستقبل بردود فعل متعددة ، وقد سبق لألمانيا والنمسا أن أيدتا إيطاليا فيما أقدمت عليه نحو ليبيا ، كما حاولت تركيا الاستعانة بواسطة دول حلف الوفاق أو الائتلاف وقد كانت فرنسا وبريطانيا وروسيا من المؤسسين لذلك الائتلاف والوفاق ولم تنل تركيا عطف أو تأييد أي دولة من الدول الكبرى المذكورة.[23]

ولم يكن إعلان الحرب في يوم 29 سبتمبر عام 1911 م من جانب إيطاليا على الدولة العثمانية مفاجأة للمراقبين السياسيين في العواصم الأوروبية ومن بينها اسطنبول وأهالي ليبيا الذين سبق لهم أن لمسوا عن كتب أطماع إيطاليا ، كل هذه الأحداث وإعلان إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية فما كان من إيطاليا إلا اصدار مرسوم ملكي يضم طرابلس وبرقة إلى التاريخ الإيطالي في نوفمبر عام 1911م ، وطبقا لاقتراح من رئيس مجلس الوزراء ووزير الشؤون الخارجية وبعد سماع مجلس الوزراء وبعد الرجوع إلى البند الخامس من القانون الأساسي قــرّر ما يلي :" توضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الكاملة والشاملة لمملكة إيطاليا وسيحدد قانون في هذا الشأن الإجراءات النهائية لإدارة هذه المناطق وحتي موعد اصدار هذا القانون تقوم المراسم الملكية مقامة ويعرض هذا المرسوم علي البرلمان ليتحول إلى قانون " [24]

ثالثا ـ ليبيا ومعاهدة أوشي لوزان 18 أكتوبر عام 1912م

من ضمن الأسباب التي أدت تركيا على توقيع معاهدة مع إيطاليا في أوشي لوزان، أنها لم تكن قادرة علي الاستمرار في الحرب ؛ فعقدت مفاوضات سرية مع إيطاليا في لوزان انتهت في 18 أكتوبر عام 1912م بصلح أوشي لوزان دون أخذ الرأي الليبيين ، وقد جاء هذا الصلح نتيجة لتفوق البحرية الإيطالية بالدرجة الأولى علي البحرية التركية ، ففي خلال فترة قصيرة من سبتمبر عام 1911 الى سبتمبر عام 1912م دمرت السفن التركية ولم يتبق منها إلا من عبر مضيق البسفور والدردنيل[25]، بالإضافة إلى احتلال جزرها الهامة في البحر المتوسط وبحر ايجه مثل سنامياليا "وليمو " ومجموعة جزر

الدردنيل وهي جزر لها أهمية استراتيجية في شرق البحر المتوسط معروفة بجزر البحر "ايجة " مما دفع بالأتراك إلى الموافقة على المباحثات مع إيطاليا [26]

وتم توقيع صلح لوزان في 18 أكتوبر 1912 عند الساعة 15:45 دون علم العرب الليبيين الذين أصابتهم المفاجئة عندما علموا بنبأ الصلح والذي يقضي بإيقاف العمليات الحربية في ليبيا وانسحاب الضباط والجنود الأتراك عن الساحة الليبية بعد تبادل الأسرى فيما بينهم . [27]

ولكي نشير إلى بعض المواد التي بقيت عليها معاهدة أوشي لوزان، والتي تهم بصفة خاصة المشاكل العالقة بين الحكومة الإيطالية والحكومة التركية بخصوص تسليم ليبيا لإيطاليا .[28]

هذه المعاهدة اشتملت علي عشر مواد ومن ضمنها النحو الآتي :

المادة الأولي : تتعمد الحكومتان بأن تتخذ فور عقب التوقيع علي هذه المعاهدة الإجراءات الضرورية للإيقاف الفوري والمتبادل للأعمال العدائية وسيتم إرسال معتمدين خاصين إلى عين المكان لتنفيذ الإجراءات المشار إليها .

المادة الثانية : تتعهد الحكومتان بأن تصدر فورًا عقب التوقيع على هذه المعاهدة أوامر بسحب ضباطها وجيوشها ومفوضيها المدنيين من طرابلس وبرقة بالنسبة للحكومة التركية ، ومن جزر بحر ايجة المحتلة بالنسبة للحكومة الإيطالية ، وعلى أن يتم جلاء الضباط العثمانيين من طرابلس وبرقة .

المادة الثالثة : يتم تبادل الأسرى والرهائن في أسرع وقت ممكن .

المادة الرابعة : تسرى هذه المعاهدة من تاريخ توقيعها واثباتها ، فقد وقع المعتمدون المفوضون على هذه المعاهدة وختموهم بأختامهم وعقب ذلك اعترفت الدول بالسيادة الإيطالية علي ليبيا ، فاعترفت روسيا منذ 16 أكتوبر والنمسا والمجر في 17 أكتوبر وفرنسا في 22 أكتوبر عام 1912م.([29])

الخاتمة:

في إطار تقسيم تركة الدولة العثمانية فقد تم توزيعها على الدول الاستعمارية وهي فرنسا وبريطانيا والمانيا وغيرها من الدول

ولكن هناك دوافع دفعت إيطاليا في احتلالها لليبيا

الدوافع السياسية : تتمثل في تعويض هزيمتها في موقعة عدوى عندما حاولت احتلال الحبشة ، وكذلك تريد أن تدخل في مصاف الدول المتقدمة .

الدوافع الاستراتيجية : تتمثل في موقع ليبيا الاستراتيجي أنها تطل علي البحر الأبيض المتوسط وهذا الموقع جعل ليبيا تعتبر حلقة وصل ما بين شمال وشرق وجنوب افريقيا

الدوافع الاقتصادية : تتمثل في البطالة التي يعاني منها المجتمع الإيطالي لكي تجعل ليبيا جزء من إيطاليا وهي الشاطئ الرابع لها لكي تحل مشكلة البطالة علي حساب خيرات ليبيا وشعبها.

التوصيات:

1- معرفة نقـاط الضعف التي مكنت الاستعمار من استعمارنا واحتلالنا .

2- تصحيح الأخطاء التي وقعنا فيها حتي لا يتمكن العدو من فرض سياسته علينا

الهوامـــــــــــش :

1- محمد خليفة التليسي معجم معارك الجهاد ص19 منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية تاريخ النشر 1980 من 1911 - 1931

2 - بحوث ودراسات في التاريخي الليبي 1911-1943 م منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ، وإشراف صلاح حسن السوري وحبيب وداعة الحسناوي

3- الفصول الأربعة ، 7 أكتوبر قراءة في الواقع الليبي ، رابطة الأدباء والكتاب والفنانين الليبيين ط 1 / 1991 م. ط 11 ص: 13

4- منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ص14

5- منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ص 13

6- مارتن مورين مصطفي عبد القادر المحشي ، عبد المولي صالح الشاطئ الرابع والاستيطان الزراعي الايطالي الشامل في ليبيا منشورات مركز الجهاد الليبي 1982م ، سلسلة الدراسات المترجمة ص26/25

7- منشورات مركز الجهاد الليبي ص 7

8- الحريري جاد عبد المولى علي / الجهاد الليبي عند شعراء الاقطار الغربية منشورات مركز الجهاد الليبي ص25

9- منشورات مركز الجهاد الليبي ص 26

10- منشورات مركز الجهاد الليبي ص26

11- منشورات مركز الجهاد الليبي ص185

12- جاك بيتسون ترجمة علي ختون م .د صالح مخزوم المسألة الليبية في تسوية السلام منشورات مركز الجهاد الليبي

13- مرجع للدراسات التاريخية الاولي ص 120 – 123

14- فيصل محمد موسى ، موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر منشورات الجامعة المفتوحة 1987 ص 279

15- مرجع سابق ص 208

16- مرجع سابق ص 38

17- المرجع نفسه ص 25

18- المرجع نفسه ص 30

19- د. علي سلطان ، تاريخ ليبيا الحديث مكتبة طرابلس العالمية ط الثانية 1989 م ص: 433

20- المرجع نفسه ص 22

21- المرجع نفسه ص 35

22- ينظر : الدكتور محمد سعيد / من معارك الزاوية ضد الغزو الايطالي علي الاراضي الليبية ، 1917 - 1942 مركز الجهاد الليبي ط الثالثة ص 17

23- مرجع سابق ص107

24- بوك مامي ترجمة محمد مفتاح العلاقي ، الوضع الدولي لطرابلس الغرب مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية نصوص مترجمة وثيقة 19 – 1981 ص 153

25- مرجع سابق ص 19

26- مرجع سابق ص21

27- مرجع سابق ص 26

28- مرجع سابق ص 30

29- مرجع سابق ص 32